

# التنوع الثقافي في منطقة القصيم

د. وفاء بنت ناصر المبيريك

العمل بل من الملاحظ الهجرة الجماعية للعائلة بأكملها للوفود إلى منطقة القصيم. ولعل ذلك ينبئ بالخير حيث إن مرافقة العائلة مؤشر إيجابي على الرغبة الأكيدة في الاستقرار وتوفير الظروف المشجعة على ذلك.

إنه من دواعي سرورنا وغبطتنا أن نشهد هذا التحول الملحوظ وبشكل متزايد في عدد القاطنين في المنطقة وخاصة أن ذلك يحمل بين طياته تنوعاً ثقافياً ظاهراً. كما يحمل أثراً وتأثيراً متبادلاً بين الساكنين على الأقل في المدى المتوسط.

ومن الجدير أن نتابع هذه الظاهرة الاجتماعية وأن نعمل على رصدتها ودراساتها للاستفادة من أثارها والعمل على احتواء سلبياتها. ولا شك أن هذه الظاهرة تحمل بين طياتها العديد من الآثار الإيجابية لذا من الحكمة الالتفات إلى ذلك وتوظيفه والاستفادة منه اقتصادياً واجتماعياً، وثقافياً، بل وسياسياً.

إنها لفرصة عظيمة أن لا نتكبد العناء والتكلفة للوصول إلى الشعوب الأخرى، بل هي تاتينا طوعية ورغبة، لذا جميل أن نعمل على بناء صورة إيجابية عن ثقافتنا وهويتنا لدى كل من نستقبله في المنطقة، وخاصة من كانت هذه تجربته الأولى وليست لديه أي معلومات عنها. وفي المقابل نحن جديرون بالتواصل مع هذه الثقافات للتعرف عليها والاستفادة منها بكل ما هو نافع ومفيد. ولعل تاريخنا وتراثنا قد سطر قصصاً رائعة جديرة بأن تحتذى ويستفاد منها في هذا المجال.

إن الاحتكاك والتواصل مع الثقافات المختلفة سواء المحلية منها أو الدولية، كفيلاً بأن يحقق العديد من المزايا لعل من أهمها

قبل عقدين من الزمن كانت منطقة القصيم على رأس قائمة المناطق الطاردة لسكانها في المملكة. وكان نموها السكاني المتزايد يكاد ينحصر على ساكنيها وأولئك القادمين إليها من الهجر والبدو. واليوم أصبحت القصيم تشهد تزايداً ملحوظاً وملموساً في أعداد الوافدين إليها، مما شكل بناءً حضارياً متنوع الثقافات. فاعداد كبيرة من أبناء وبنات المناطق الأخرى في المملكة أصبحوا يقطنون منطقة القصيم، فضلاً عن الكثير من الأسر ذات الجنسيات المختلفة تشاطرننا الإقامة بكل ارتياح وسرور.

هذه الظاهرة المدنية التي تسمى في عرف الموارد البشرية ودراسات السكان الجذب السكاني لم تتحقق عشوائياً. بل كان وراء تحقيقها العديد من العوامل الداعية لمثل هذه الظاهرة الإيجابية والتي تعكس اكتساب المنطقة لصفة الجذب السكاني. فمنطقة القصيم تشهد نمواً اقتصادياً متسارعاً ترتب عليه الاستعانة بقوة العمل المؤهلة لشغل الأعمال المتنوعة في المؤسسات التجارية والتعليمية والخدمية. كما أن من الأسباب الجاذبة للإقامة في المنطقة، هو تنوع المؤسسات الأكاديمية في القطاعين العام والخاص والتي تؤهل الدارسين في مختلف التخصصات. ولم يقتصر الجذب على الأفراد المرتبطين مباشرة بالعلم أو

تحقيق قول الله تعالى "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا". كما أن من بين الفوائد لهذا الأمر تنمية روح المشاركة بين الناس على اختلاف جنسياتهم وتنوع ثقافتهم، والتعرف على عاداتهم وسلوكياتهم الحميدة والاستفادة منها في التعامل مع مختلف القضايا، بالإضافة إلى الاعتياد على تقبل الآخر واكتساب خبرة التعامل معه بأسلوب مقبول. كما أن الأمر متاح بأن يكون التأثير عكسياً وبشكل إيجابي.

أما من الناحية الاقتصادية فإن النمو السكاني المصاحب لهذه الظاهرة يحمل الخير والازدهار والنمو للمنطقة. فالكثير من الفرص الاستثمارية ستكون نتيجة حتمية لهذا النمو، فلم يعد كافياً ما هو متاح الآن من مراكز للتسوق والترفيه أو حتى للإقامة. فستشهد المنطقة بفضل من الله انتعاشاً اقتصادياً مأمولاً، وخاصة في مجال المشروعات الصغيرة والتي تقدم خدمات متنوعة بتنوع الاحتياجات. كما أنه سيكون هناك طلب أكبر على خدمات النقل والاتصالات والكهرباء والمياه، وغيرها من المستلزمات الضرورية والتي تدفعنا أن نكون على أهبة الاستعداد للوفاء بها والاستفادة منها.

وأخيراً أعتقد أن إدراك هذا الترابط الجميل بين الآثار الإيجابية للتنوع الثقافي في منطقة القصيم يمكن أن يوظف سياسياً من خلال بناء علاقة وثيقة مع الدول الصديقة والتي يقطن أبنائها في المنطقة ليكونوا سفراءنا في الخارج. أتمنى أن أرى من المختصين في هذا المجال مساهمة في تحليل هذه الظاهرة خدمة للعلم والمعرفة، وخدمة لمتخذي وصناع القرار.